ملامح الفونيم فوق التركيبي في كتاب الخصائص لابن جني

- دراسة في ضوء اللسانيات الوظيفية -

the suprasegmental phoneme in the book of Alkhasa'es of Ibn Jaini- study in the light of functional linguistics-

زكري يمينة /طالبة دكتوراه

أ.د.جودي مرداسي

قسم اللغة العربية و آدابها-جامعة الحاج لخضر-باتنة(الجزائر)

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة.

Yaminazekrilinguisticsàgmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/11/11 تاريخ القبول: 2019/11/19

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد أهم الظواهر السياقية التي بثها ابن جني في ثنايا كتابه (الخصائص)، بوصفها واحدة من القضايا التي اهتم بها علم الأصوات الوظيفي(phonology)، بعدها سمات صوتية تتجلى خلال السياق ،فهي تظهر بعد عملية الضم و البناء التي تنطلق من أصغر الوحدات ممثلة في الصوت وصولا إلى التركيب تام المعنى مجسدا في الجملة ؛ولا تدخل فيه مما يجعلها فونيمات فوق تركيبية(suprasegmental phoneme) ، ولعل أبرز ما سيتم البحث عنه هو: النبر و التنغيم والوقف ، باعتماد المبدأ الوظيفي القائل :" دراسة اللغة هي قبل كل شيء، البحث عن الوظائف التي تؤديها في التواصل، العناصر و الأصناف و الآليات التي تدخل فيها ."[1] ولهذا جاءت الدراسة بغرض البحث عن هذه المسائل اللغوية والإجابة عن الإشكالية التي مفادها:

إذا كان ابن جني قد تطرق إلى العديد من القضايا الصوتية في مختلف أبواب كتابه (الخصائص) والمتعلقة بثنائية (الصوت و المعنى) بحيث مكنته من الوصول إلى ما يعرف حديثا بنظرية الفونيم ، فهل يمكن أن نجد له إدراكا موازيا لمسألة الفونيم فوق التركيبي ؟

الكلمات المفتاحية: علم الأصوات الوظيفي، الفونيم فوق التركيبي،النبر، التنغيم، الوقف.

Abstract:

This paper aims at monitoring the most important contextual phenomena that were broadcast by Ibn Jinni in his book "al khasaes»; As one of the issues addressed by phonology it has an audio features that are reflected in the context which is making them suprasegmental phonemes. Perhaps the most important thing to look for is: stress, intonation and the pause ؛By adopting the functional principle that "language study is, above all, the search for the functions that it performs in communication».

Therefore, the study came answer the problem that:

Can we find a parallel awareness of suprasegmental phoneme?

key words: phonology; suprasegmental phoneme; stress, intonation, the pause.

مقدمـة:

يجد المتأمل في التراث اللغوي العربي حركة واسعة و نشاطا كبيرا ؛يظهر في تنوع الدراسات و تعددها، بحيث طرقت مسائل لغوية شتى فيما سمي ب (علم العربية)، إذ لمس علماء اللغة من خلاله كل مستويات البحث في النظام اللغوي ؛الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية،غير أن البعد الصوتي استولى على اهتمامهم ، فقد اتخذ منهجا للتحليل يبتغى به بناء معجم أو الولوج به لعلم التصريف أو البحث عن الفصاحة وأوجه التركيب في اللغة ، وهو ما نلحظه في مصنفاتهم التي وصلت إلينا.

هو ذا (الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175ه) شيخ البصريين يؤلف معجمه (العين) وفق قوانين النظام الصوتي في العربية ، والتي نجدها مبثوثة في مقدمة المعجم ؛ إذ فصل فيها الحديث عن تجاور الأصوات في الكلمة الواحدة؛ فحدد ما يصح منها وفق كلام العرب وعين ما يخرج عن سمتها بالاعتماد على ما تتميز به الأصوات من خصائص و سمات ، وهو المبدأ ذاته عند تلميذه (سيبويه ت 180 ه) إمام النحويين و صاحب (الكتاب) الذي ألفه بغرض البحث عن تراكيب اللغة و ما يحكمها من قواعد تم استنباطها بالاستقراء، هو الآخر يقف بداية عند الأصوات؛ ليحدد مخارجها و يعين صفاتها و يعلل لذلك بقوله :"وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام ،وما يجوز فيه،وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك "[2].

في هذه النصوص التفاتات لطيفة ، تأثر بها مجموعة من علماء العربية ممن أجرى قلمه ووقف نفسه للبحث في خصائصها و التفقه فيها، وابن جني واحد من هؤلاء فهو أول من أفرد للأصوات مؤلفا قائما بذاته أسماه (سر صناعة الإعراب)، وأطلق على مجال بحثه مصطلح (علم الأصوات و الحروف) ؛ فنجده يقول :(...ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات و الحروف له تعلق و مشاركة للموسيقى بما فيه من صنعة الأصوات و النغم)[3]،

وتمكن بما يملكه من حس وذوق من تحليل أصوات اللغة العربية و تحديد المخارج و الصفات الخاصة بها ، مع الأخذ بجهود سابقيه من أمثال (الخليل بن أحمد) و (سيبويه)، فنجده يوافقهم في مواضع و يخالفهم في أخرى فيما ذهبوا إليه من آراء تتنزل وفق الدراسات اللسانية الحديثة ضمن حدود (علم الأصوات)، إلا أن البحث الصوتي عند ابن جني تجاوز مستوى تحديد السمات و الخصائص إلى مستوى البحث عن علاقة الأصوات بمعانيها و دلالاتها التعبيرية في بنية اللغة، وهو ما تعرض له في ثنايا أبواب كتابه (الخصائص)، نحو (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، وباب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وغيرهما مما تتم تتبعه من المسائل الصوتية التي تحدث عنها كنظرية الفونيم ، و التبديلات الصوتية من مماثلة و مخالفة ، وإشارته للمظاهر السياقية التي تمثل مدار البحث الذي نحن بصدد تفصيله و بيانه فيما يأتي من صفحات، بعد التعريف بكتاب (الخصائص) لصاحبه ابن جني* محل الدراسة.

كتاب الخصائص: يهتم بدراسة مسائل لغوية تميز نظام اللغة العربية وهو ما يعكسه عنوانه فالمراد به خصائص العربية، والتي جاءت في شكل (162) بابا تميزت ب:

- غياب الترتيب المنطقي الذي يمكن أن تخضع له أبواب الكتاب، وهي سمة الكتابة و التدوين و التأليف في تلك الحقبة الزمنية
- بناء المادة العلمية وهندستها وفق منهج يتسم بكثرة التعليل و التحليل مع دقة الملاحظة.
- تنوع مسائل وقضايا الكتاب ؛ لأن ابن جني بصدد البحث عن خصائص اللغة العربية مما استدعاه التطرق إلى جوانبها الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية، وهو ما خلق تضاربا في تصنيف مادته وعدم قدرة إلحاق باب ما بمستوى لغوي بعينه وفقا لما تقره اللسانيات من مستويات التحليل اللغوي ؛ إذ يمكن للباب أن يضم مسائل تنتمي إلى مستويات أخرى، بالتالي يمكن القول بأنه موسوعة لغوية تناولت موضوعات شتى منها : أصول النحو و هي غاية تأليفه على ما أثبته ابن جني بقوله " ...وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام و الفقه "[4]،إضافة إلى الصرف مع ربطه بالنحو ، ومباحث الدلالة ، وفلسفة اللغة و بعض من علم الكلام ،فنجده محط نظر للباحثين باختلاف توجهاتهم المعرفية وتنوعها ولكل متأمل منهم له حظ فيه بما تفتحه له بصيرته من آفاق للولوج إليه و التمعن بأفكاره.

ومن بين القضايا التي بثها (ابن جني) في تضاعيف كتابه : النبر و التنغيم و الوقف، وهي محط البحث و البرهنة في هذه الدراسة والتي تستوجب تفكيك أبجديتها بضبط مصطلحاتها حتى نتمكن من رسم إطارها العام.

أولا: علم وظائف الأصوات:

يعبر مصطلح علم الأصوات الوظيفي ،أو علم الأصوات التشكيلي ،أو علم وظائف الأصوات، أو علم الأصوات التنظيمي، أو الصوتيات الوظيفية، و هي كلها مقابلات لما يصطلح عليه في اللغة الأجنبية ب(phonology) عن فرع لساني يهتم بدراسة الأصوات من حيث قيمتها اللغوية، أي قيمتها التعبيرية، بمعنى أنها تلتفت إلى ما يمكن أن يحققه الصوت من معنى وهي بذلك تجاوزت علم الأصوات العام أو ما يعرف ب (phonetics) والتي تهتم بدراسة القيمة الفيزيائية للصوت فقط ،وهو ما تم إيراده في معجم اللسانيات وعلم الأصوات العام بنص عن علم الأصوات الوظيفي مفاده أنه " فرع من اللسانيات يهتم بدراسة النظم الصوتية في اللغات، ...ذلك أن الأصوات تنتظم وفق تقابلات يصطلح عليها بالفونيمات"[5].

بينما ترجم أيضا ب:الصواتة وجاء تعريفها على النحو الآتي:"الصواتة ... تبحث في الاختلافات الصوتية المرتبطة ، في اللغة المدروسة،باختلافات في المعنى،وفي الكيفية التي تتصرف فيها العناصر المميزة (العلامات)مع بعضها البعض،وبناء على أية قواعد تستطيع أن تتآلف فيما بينها لبناء كلمات أو جمل"[6] .

إذن تسمى الأصوات التي تؤدي أثرا في تغير المعنى بالفونيمات "phonemes "، وهي عبارة عن علامات لغوية يمكن بواسطتها التواصل بسلاسة على اعتبار أن "للصوتيم دورا فارقاdistinctive و غايته أن يكون إشارة للفروق بين المعاني"[7]، وهو ما عبر عنه أحمد مختار عمر بمصطلح (الصوت اللغوي)[8].

يميز علم الأصوات الوظيفي بين مجموعتين من الفونيمات هي[9]:

- فونيمات رئيسية تركيبية أو قطعية :وهي تلك الوحدات الصوتية التي تكون جزءا من أصغر صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق ،أو ذلك العنصر الذي يكون جزءا أساسا من بنية الكلمة المفردة.
- فونيمات ثانوية (فوق التركيبية أو غير القطعية): ويطلق عليها أيضا فونيمات تطريزية ،وهي كل ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل . فهي إذن تظهر حين تضم كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة

خاصة ضمن جملة ما ، من أمثلة الفونيمات الثانوية :النبر، والتنغيم، والفواصل الصوتية.

ثانيا: النبر(stress)

1-مفهوم النبر:

جاء في لسان العرب لابن منظور " النبر بالكلام الهمز.يقال:وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزه.وفي الحديث قال رجل للنبي (صلى الله عليه و سلم):يا نبيء الله فقال: لا تنبر باسمي.أي لا تهمز .

و في رواية قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم):إنا معشر قريش لا ننبـر.و النبر همز الحرف.قال ابن الانباري: النبر علو"،لعرب ارتفاع الصوت .يقال: نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو"[فالنبر] في الصوت ارتفاعه وهو ما جاء في المعجم الوسيط "...يقال نبر في قراءته أو غنائه؛ رفع صوته...و النبر في النطق:إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق"[10].

وفي اصطلاح العلماء ما يتوافق والمفهوم اللغوي ؛ فكمال بشر يذهب إلى أن النبر "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح و أجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره"[11] ؛ بمعنى أنه كما يقول مصطفى حركات " وسيلة صوتية تبرز بواسطتها عنصرا من السلسلة الصوتية، قد يكون مقطعا أو لفظا أو جملة.و النبر يكون بواسطة الشدة في النطق أو ارتفاع النغمة أو المد"

وعلى ما يبدو فإن التعريفات تتفق كلها في نقطة جوهرية واحدة وهي ما يشكل ميزة النبر ألا وهي ارتفاع الصوت و ظهوره نتيجة بذل جهد و طاقة أكبر بغرض إبرازه عن بقية أصوات المتوالية الكلامية وهو ما يؤكده كمال بشر بقوله " النبر يتطلب عادة بذل طاقة في النطق أكبر نسبيا ،كما يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد"[12].

2-القيمة التعبيرية للنبر:

بداية لابد من التأكيد على أن النبر ليس فونيما في جميع اللغات ؛ بمعنى أنه لا يحمل قيمة التميز بين مختلف المعاني و الدلالات ، وبالتالي يمكن تقسيم اللغات وفقه كما يذهب أحمد مختار عمر إلى لغات نبرية و أخرى غير نبرية وفي هذا الصدد يقول : " من أمثلة اللغات غير النبرية: اللغة الفنلندية و اللغة التشيكية و اللغة البولندية و اللغة الفرنسية، و اللغة الهنغارية؛ تتميز هذه اللغات بأنها تثبت النبر في مكان معين، مثلا على المقطع الأول دائما ، كما في اللغتين الفنلندية و التشيكية،أو على المقطع الأخير دائما كما في اللغة الفرنسية .

أما اللغات النبرية فاللغة الإنجليزية مثال جيد لها وتتميز هذه اللغات باستخدامها النبر كفونيم ، فيكون موضع النبر فيها حرا، ويستخدم للتفريق بين المعاني أو الصيغ عن طريق تغيير مكانه "[13]، يمكن القول بأن الفونيمات تتغير من نظام لغوي لآخر فما يمكن عده فونيما في لغة ما

بعد عملية التقابل بغرض التمايز الدلالي لا يحمل القيمة ذاتها في نظام لغة أخرى مما يستدعيها إلى اعتماد فونيمات بديلة تضفي عليها بالضرورة سمات خاصة بها دون غيرها، وبغض النظر عن كون النبر فونيما أو هو دون ذلك إلا أنه يمكن أن يأخذ قيما عديدة يستفاد منها في الوصف اللغوي أبرزها: "

- التمييز: يمكن تحديد هوية الكلمات و تصنيفها إلى أسماء أو أفعال عن طريق تحديد مواضع النبر فيها، كالإنجليزية التي تفرق بينهما أحيانا بالعودة إلى اختلاف مكان النبر، إذ يقع النبر في الأسماء على المقطع الأول، بينما يتأخر في الأفعال إلى المقطع الثاني.
- التعيين: ويقصد به تعيين بداية الكلمة و نهايتها على مستوى السلسلة الكلامية، وهذا عادة ما يكون متصلا باللغات غير النبرية كاللغة التشيكية التي تنبر المقطع الأول دائما من الكلمة.
- الإدغام: ومفاده أن النبر يسهم في إبراز القيمة التعبيرية لبعض أجزاء الجمل التي يلحق بها؛ فهو مرتبط بمستوى التراكيب.

ومما يمكن ملاحظته في نظام اللغة العربية أنها لغة لا تتمتع بنبر الكلمات ؛بمعنى أن النبر على مستوى الكلمات فيها لا يؤدي إلى تغير معانيها ، بينما لو تم الانتقال إلى مستوى أعلى وهو التراكيب و الجمل ، لألفينا الوضع مختلفا ذلك أن " نبر الجملة وتنوع النبر و درجاته فيها يفيد التأكيد أو المفارقة،حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى قصدا إلى بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة "[14]، فالمتكلم يهندس موضع نبره ويوقعه على كلمة دون سواها في المتوالية وفقا للمقصدية التي رسمها في ذهنه و التي يود نقلها إلى السامع ، ولبيان هذا ، لتكن أمامنا الجملة الآتية : (أتناول والدك الدواء صباحا؟) ،فلنكتشف احتمالات النبر فيها ، فإن وقع على كلمة (تناول)أدى إلى شك في حدث التناول،وإذا انتقل إلى كلمة (والدك) كان الشك في فاعل الحدث، أما إذا التزم كلمة (صباحا) فقد وقع الشك في زمن الحدث ، يمكن القول بأن هناك علاقة بين اختلاف مواضع النبر في الجملة وما يمكن أن تؤديه من معاني و بالتالي تعدد الأغراض و المقاصد.

2-النبر عند ابن جني :

مما لا يفوت التنبيه إليه أن مصطلح النبر ورد عند قدماء العربية وهو ما يمكن التوصل إليه من خلال الإطلاع على البحوث الصوتية ، إلا أنه لم يتعد المفهوم اللغوي ؛أي الهمز ، فقد أشاروا إليه على أنه تحقيق لنطق الهمزة ، وليس ضغطا على أحد مقاطع الكلام ،غير أن هناك من أدرك مفهومه ولم يقم بتحليله أو التقعيد له على نحو الصرف و التركيب وغيرهما ، ومن بين هؤلاء ابن جني الذي نجد له إشارات خفية في كتابه (الخصائص) ضمن

باب (مطل في الحركات) فتراه يقول " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ،فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو "[15] وهو النبر عن طريق مد الحركات وإشباعها ،إذ يضيف قائلا " و الألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما حكاه الفراء عنهم : أكلت لحم شاة، شاة فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا "[16] ، ويذكر بعدها إشباع الكسرة و يمثل لها بقوله " من إشباع الكسرة ما جاء عنهم في الصياريف و المطافيل و الجلاعيد "و المقصود بها الصيارف و المطافل و الجلاعد ، ثم يواصل حديثه عن مطل الضمة "ومن مطل الضمة القرنفول"[17]، و المراد القرنفل.

وفي السياق ذاته يورد في باب (مطل الحروف) فكرة متممة لمعنى النبر بالمد بقوله " كذلك الحركات عند التذكر يمطلن حتى يفين حروفا، فإذا صرنها جرين مجرى الحروف المبتدأة توام، فيمطلن – أيضا – حينئذ، كما تمطل الحروف .وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت : قمتا:أي قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة أنتي:أي أنت عاقلة ، ونحو ذلك ، ومع الضمة قمتو: في قمت إلى زيد، ونحو ذلك "[18]، فالمطل وفقا لابن جني هو زيادة في الإشباع بالتضعيف ، ذلك أن الحركات أبعاض للحروف و الحروف أضعاف الحركات والغاية من ذلك ما أورده عبد القادر عبد الجليل من أن (الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع؛ لتحقيق غرض قصدي "[19]، يمكن مما سبق استخلاص أن لابن جني إدراكا فيما يخص نبر الكلمات عن طريق المد أو كما سماه هو (المطل) وهو أحد وسائل النبر التي توصلت إليها الدراسات اللسانية الحديثة بالإضافة إلى رفع النغمة و التشديد عليها .

ثالثا:التنغيم (Intonation)

1-مفهوم التنغيم:

يعرفه تمام حسان بقوله :" هو ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام "[20] ، فهو تلوين موسيقي يظهر أثناء ربط الوحدات الصوتية لتشكيل متوالية الكلام، وهو ما عبر عنه ماريو باي بقوله " تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعية في حدث كلامي معين "[21]، وسماه إبراهيم أنيس (موسيقى الكلام)[22] ،غاية المتكلم هو إبلاغ قصد بعينه دون آخر ، إذ يمكن من خلاله التوصل إلى " معرفة كثير من خصائص الكلام كالتفريق بين الجملتين المثبتة و الاستفهامية، ولاسيما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا التفريق.وأكثر ما يوجد في اللهجات العامية "[23].

فهو عادة كلامية للتمييز بين مختلف صيغ الكلام وأغراضه و بالتالي بين الدلالات و المعاني ، وله على مستوى الكتابة ما يوازيه وهي علامات الترقيم وفي هذا يقول تمام حسان " التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة"[24]، ذلك أن علامات الترقيم تحمل

قيما ثابتة إلا أنها تتسع في الأداء على مستوى المنطوق نظرا للتعدد اللهجي و العادات النطقية الخاصة بكل منها .

3-درجات التنغيم:

للتنغيم درجتان تم تحديدهما بالإنطلاق مما تنتهي به السلسلة الكلامية من نغم ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك تمايزا بين النغم (Tone) و التنغيم (Intonation) إذ يقع " التنغيم على مستوى العبارة أو الجملة، أما النغمة فتكون على مستوى الكلمة المفردة مثل: نعم،بلى، لا،..."[25]، وبالعودة إلى النغم في نهاية المنطوق وهو معطى التصنيف ، نجد نغمتين هما:

- النغمة الهابطة: سميت كذلك لاتصافها بالهبوط في نهايتها، ويمكن التمثيل لها بالجمل التقريرية على نحو: محمود في البيت، وتنطق كلمة (البيت) بنغمة هابطة.
- النغمة الصاعدة: وسميت كذلك لاتصافها بالصعود في نهايتها، ويمكن التمثيل لها بالجمل الاستفهامية التي تستوجب الرد بلا أو نعم، على نحو محمود في البيت ؟وتنطق كلمة (البيت) بنغمة صاعدة[26].

ويضيف تمام حسان (النغمة المسطحة) ويعرفها بقوله:" لا هي بالصاعدة ولا هي بالهابطة "، يقف المتكلم عندها قبل إتمامه للمعنى كما في قوله تعالى :

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ(10) }– القيامة -

يلاحظ أن الوقف قائم على (البصر و القمر) أولا و(القمر) ثانيا وقف على معنى لم يتم،فتظل نغمة الكلام مسطحة،أما الوقف على المفر فالنغمة فيه هابطة لأنه وقف عند تمام المعنى وهو الاستفهام[27].

3-دور التنغيم في النظام اللغوي :

يحمل التنغيم وظائف متعددة في النظام اللغوي ، فكما لاحظنا سابقا نستطيع بواسطته التمييز و التفريق بين أنواع الجمل ؛بمعنى أنه يمكن تصنيفها إلى استفهامية أو تقريرية أو غير ذلك من الأنماط وتسمى بالوظيفة النحوية:" وهي الوظيفة الأساسية له ، فهي العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب و التفريق بين أجناسه النحوية"[28]، ثم إنه يرتبط بمتكلم ما وهذا يعني اكتسابه للوظيفة التعبيرية ، ويجري ضمن سياق تواصلي مما يضيف إليه الوظيفة الدلالية السياقية إذ " تأتي العبارة أو الجملة بأنماط تنغيمية مختلفة وفقا للموقف ،مع مصاحبة ظواهر صوتية أخرى كالنبر القوي،أو ظواهر خارجية كرفع اليد أو الحاجب، وتتعلق هذه الظواهر بالظروف و المناسبات التي ألقي فيها الكلام كالتهكم و الغضب و

التعجب و الدهشة و غيرها"[29] ، وخلاصة القول أن التنغيم يقوم بدور فعال في تحديد الدلالات و المعاني.

4-فكرة التنغيم عند ابن جني :

أورد ابن جني ملمحا لطيفا عن التنغيم أثناء حديثه عن حذف الصفة في باب (شجاعة العربية)بقوله " حذفت الصفة ودلت الحال عليها،وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ،وهم يريدون ليل طويل،وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها.وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح و التفخيم و التعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك"[30].

فكل من التطويح ومعناه الذهاب بالشيء هنا وهناك ،و التطريح وهي تطويل الشيء مع رفعه و إعلائه هي مصطلحات للدلالة على التنغيم ، ذلك أنه تلاها بالتفخيم و التعظيم وهي أنماط لأدائه نظرا لما قدمه في قوله " تحس في كلام القائل"ثم يؤكد على ذلك باستمراره في الشرح بقوله " و أنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته،وذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه، فتقول:كان و الله رجلا!فتزيد من قوة اللفظ ب(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك،وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا!وتمكن الصوت ب (إنسب قولك:فخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك،وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق. قلت: سألناه و كان إنسانا ! وتزوي وجهك و تقطبه ، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك "[31]، فابن جني لم يصرح بالتنغيم ، إلا أن في كلامه ما يدل عليه وذلك بما أشار إليه من قوة اللفظ و وتمطيط اللام و إطالة الصوت و تمكنه و تفخيمه ، مع ما رسمه من دلالة سياقية بقوله "تزوي بوجهك" لوصف حالة المتكلم وما يرمي إليه من غرض في الكلام .

ونجد له كلاما آخر في باب (نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) يقول فيه:" ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا وذلك قولك: مررت برجل أي رجل،فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل، لأن ما زائدة، وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، و التعجب ضرب من الخبر،فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله : من الخبرية "[32].

والمغزى هو أن ابن جني أدرك بذهنه المتوقد ما للتنغيم من فعالية في الحدث التواصلي ومدى تأثيره في إيصال المقاصد و التعبير عن الأغراض في نفوس المتكلمين.

رابعا: الوقف (The pause)

1-مفهومه:

جاء في لسان العرب" الوقف مصدر قولك وقفت الدابة. ووقفت الكلمة وقفا.أي حبستها"[33]، فالوقف هو الحبس و المنع ، وفي الكلام هو قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما أو عما بعدها ذلك أنه يأتي " على موقع هو في طابعه مفصل من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقية؛ فينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية، تعتبر كل دفعة منها إذا كان معناها كاملا واقعة تكلمية منعزلة.أما إذا لم يكن معناها كاملا كالوقف على الشرط قبل ذكر الجواب مثلا فإن الواقعة التكلمية حينئذ تشمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة"[34]، وعادة ما يتحقق بالإسكان ، غير أنه لا يلتزم به فقد يتوصل إلى الوقف بالروم وهو إضعاف صوت الحركة دون أن تختفي تماما عن الأذن، وأيضا بالإشمام وهو عدم نطق الضمة بل يكتفي بالإشارة إليها بالشفتين ،إضافة إلى " الإبدال، الزيادة ، الحذف، النقل و التضعيف"[35].

- الإبدال: أبدال الألف من تنوين المنصوب وتنوين إذا،ومن نون التوكيد الخفيفة،وكذلك إبدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء.
- النقل:تحويل حركة الحرف الأخير في الكلام إلى الساكن قبله لبيان حركة الإعراب أو التخلص من التقاء الساكنين إلا إذا منع ما قبل الآخر من التحريك.
- الحذف: حذف التنوين من آخر المنون سواء أكان مرفوعا أو مجرورا، ومن آخر المقصور مطلقا، وحذف إشباع الضمير في (به) و (له)، وحذف ياء المنقوص مع التنوين في الاسم المنقوص المنكر.
- الزيادة: وهي زيادة هاء السكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو:أعطه وأرجه، وبعد ما الاستفهامية لحاجة الصيغة لها.

2-أنواع الوقف:

اهتم علماء القراءات بالوقف ، نظرا لما يؤديه من دور في تحقيق معاني القرءان، فقعدوا له واستنبطوا له الأحكام والقوانين التي يمكن أن يجري وفقها ، وذهبوا إلى أنه ينقسم إلى عدة أنواع، يمثلها الرسم الموالي:

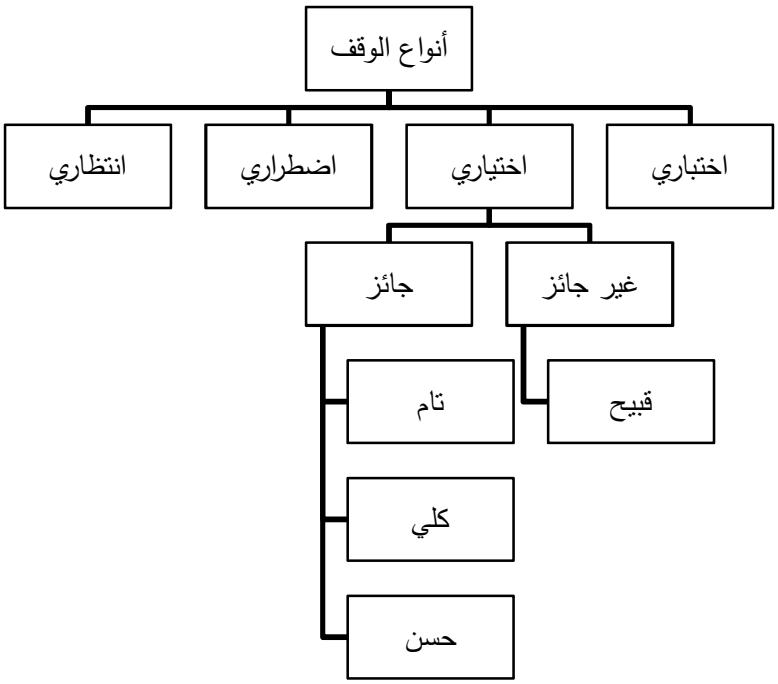

- الوقف التام: ويكون كثيرا في رؤوس الآي، نحو الوقف على الآية الأولى في سورة الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم)
- الوقف الكافي (تام) : سمي كافيا للإكتفاء به واستغنائه عما بعده لعدم تعلقه به لفظا،ويكثر في الفواصل وغيرها، نحو قوله تعالى في سورة البقرة الآية رقم 3:(...ومما رزقناهم ينفقون).
- الوقف الحسن: ماجاز فيه الوصل و الوقف وكان الوصل أولى، وسمي حسنا لإفادته فائدة يحسن الوقف عليها ، وبذلك يكون في كل موضع يفهم فيه معنى.نحوالوقف على (بسم الله)،(الحمد لله)،(رب العالمين)، أو قوله تعالى في سورة البقرة الآية 26(فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ...).
- الوقف القبيح: يقع في المواضع التي لا تتم معنى أو تؤدي إلى فساده .من ذلك الوقف على (بسم) و (الحمد)، (رب)،إذ أنه لا يفهم معنى منه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقا بين الوقف و السكت، فالسكت أقل زمانا من الوقف من غير تنفس[36] ، والسكتة ليست واجبة فيمكن إعمالها و يمكن إهمالها[37].

3-الوقف عند ابن جني:

أورد ابن جني كلاما عن الوقف في باب (الساكن و المتحرك) بقوله " فإن قلت نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت،وهو مع ذلك ساكن،وهو الفاء و الثاء و السين و الصاد ونحو ذلك تقول في الوقف:إف،إث،إس،إص، قيل: هذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف وموف له في الوقف، فإذا وصلت ذهب أو كاد، وإنما لحقه في الوقف لأن الوقف يضعف الحرف"[38]،وفي هذا تلميح للروم لأنه تحويل للحركة إلى حرف لين قصير جدا لا تكاد تلتقطه الأذن إلا عن قرب وهو ما يثبته في قوله "روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركا، ألا تراك تفصل به بين المذكر و المؤنث في قولك في الوقف:أنت و أنت، فلولا أن هناك صوتا لما وجدت فصلا "[39].

وفي الباب ذاته نجد له نصا عن الإشمام مفاده " فأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن «، وأراد به أنه يدرك بحاسة البصر لا السمع.

الخاتمة:

يمكن القول بأن (ابن جني) استطاع إدراك مجموعة من القضايا الصوتية التي ترتبط بما اصطلح عليه في الدراسات اللسانية الحديثة ب (الفونيمات فوق التركيبية) ، و مدى تأثيرها في عملية التواصل و التبليغ ، ذلك أنه كان يشير ويلمح إليها في معرض كلامه عن قضايا أخرى ، دون الوقوف عندها و التقعيد لها بشكل مباشر و خاص كالنبر و التنغيم ، بحيث وصفها و مثل لها دون أن يصطلح عليها ، بينما اكتفى في مواضع أخرى بذكر المسألة و إيجاز القول فيها مع الاصطلاح عليها كالوقف و طرقه ، وفي كليهما إثبات على أن تراث العربية فيه ما يمكن أن يضاهي و يوازي وأحيانا يتفوق على الدراسات اللسانية الحديثة .

الإحالات:

[1] أوزروالد ديكرو،جان ماري سشايفر،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ،تر:منذر العياشي،المركز الثقافي العربي،ط2،2007،ص49

[2] سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر،الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط3،2006،4/436

[3] ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح : محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط1،2000،1/22

* هو أبو الفتح عثمان بن جني، من أصل غير عربي ينتهي بالولاء إلى الأسرة الأزدية الرومانية اليونانية،وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة ميلاده بين 320 هـ - 322هـ ، حيث ولد بمدينة الموصل و بها نشأ وأخذ العلم

عن شيوخها ، من أشهرهم (أحمد بن محمد الموصلي الشافعي) المعروف ب (الأخفش)،إلا أنه لزم شيخه (أبا علي الفارسي) وألف على طريقته، فعرف بسعة المعرفة اللغوية و دقة التحليل مع كثرة التعليل.
(ابن جني) كما تذكر كتب التراجم ذو نزعة معتزلية في الكلام، بصرية في النحو، فقد كان إماما في النحو و الصرف و ناظما للشعر، توفي سنة (392هـ)، ورثاه الشريف الرضي بقصيدة منها قوله:

لتبك أبا الفتح العيون بدمعها وألسنة من بعدها بالمناطق

[4] ابن جني ، الخصائص، تح محمد علي النجار،المكتبة التوفيقية، القاهرة ،مصر، ط2015،1، 1/ 34
[5] David crystal, dictionary of linguistics and phonetics, 6th edition, Blackwell publishing, 2008, p391
[6] ماري آن بافو، جورج آليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي،المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان،ط2012،1ص 207
[7] ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد مصلوح،وفاء فايد كامل، ط2،المجلس الأعلى للثقافة،2000،ص 235
[8] ينظر:أحمد مختار عمر، الصوت اللغوي ، عالم الكتب، القاهرة،مصر،دط،1997، فقد جعله عنوان كتابه.
[9] ينظر: كمال بشر،علم الأصوات،ص 496-497، حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية،ص 165-166، زين كامل الخويسكي،الأصوات اللغوية،ص 113-114
[10] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص 897، مادة (ن ب ر)
[11] كمال بشر،علم الأصوات، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،مصر،دط،دت،ص 512
[12] كمال بشر، علم الأصوات،ص 513
[13] ينظر: أحمد مختار عمر، ،ص 222
[14] كمال بشر،علم الأصوات،ص 515
[15] ابن جني، الخصائص، 3/131
[16] نفسه،3/ 133
[17] نفسه ،3/ 134
[18] نفسه،3/140
[19] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 241
[20] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة،دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب،دط،1986،ص198
[21] ماريو باي، أسس علم اللغة،تر: أحمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة ،مصر،ط1998،8،ص 93
[22] إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية،مكتبة الأنجلومصرية، مصر،ط1975،5،ص 175
[23] محمد التنوجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط2001،1،1/207
[24] تمام حسان،اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط،1994، ص222

[25] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة،الإسكندرية، مصر، دط،2000،ص 136-137

[26] ينظر: كمال بشر، علم الأصوات،ص 534-537

[27] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص230

[28] نفسه ،ص 541

[29] نفسه،ص 539

[30] ابن جني الخصائص 2/ 394-395

[31] نفسه ،ص 395

[32] نفسه،293/3

[33] ابن منظور، لسان العرب، 363/15، مادة (و ق ف)

[34] تمام حسان، اللغة العربية مبناها و معناها، ص 270

[35] نفسه،ص 271،272

[36] ابتهال الزيدي،علم الأصوات في كتب معاني القرءان،دار أسامة،عمان،الأردن دط،2005،ص141

[37] كمال بشر،علم الأصوات،ص 557

[38] ابن جني، الخصائص، 347/2

[39] نفسه ، الصفحة نفسها.